13 me Année No. 600

Lundi - 1 - 1 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٠٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق أول يناير سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

الفهــــرس

الرسالة

فى عامها الثالث عشر

لاحت فى جوانب العام المنصرم تباشير السلم كما تلوح فى هوادى الليل تباشير الفجر الكاذب[1] ؛ فانبعثت رواقد الأمانى هنا ، وتحلبت أشداق المطامع هناك ؛ وابتهل العالم العربى إلى الله أن يوقِّيه ويلات السلم كما وقّاه ويلات الحرب ، فأُوحىَ إليه أن يتحد — ومن طباع العالم العربى الذى يؤمن بانقطاع الوحى ، ألا يعمل إلا بوحى — فوفد إلى القاهرة وفود الدول العربيــة خفافاً وثقالاً ، وأخذوا ينظرون فى الصورة التى تكون عليها الوحدة ، وفى الألوان التى تتألف منها الصورة . ولا يزال أقطاب « الجامعة العربية » يديرون الرأى فيما بينهم استعداداً لجمع « المؤتمر » وعقد « الميثاق »

ذلك وحى الضرورة نزل على قلوب الساسة فصدعوا به وعملوا له . وهنالك وحى الطبيعة أوحته القرابة الواشجة ، واللغة الواحدة ، والوطن المشاع ، والتاريخ المشترك ، فتجلى فى المجمع اللغوى ، وفى التعاون الثقافى ، وفى مؤتمر الأطباء ، ومؤتمر المحامين ، وفى مهرجان أبى العلاء ، وفى مؤتمر النساء ، وفى بعوث الأقطار العربية فى معاهد مصر العلمية ، وفى الدعوات

(١) الفجر الكاذب ضوء داكن يبدو قبيل الفجر الصادق مستطيلا معترضاً ويقال له ذنب السرحان

والرحلات ، وفى الكتب والمجلات ، وفى الأصوات المتجاوبة تزأر بالدفاع عن فلسطين المهددة ، وفى الجماعات المتزاورة تتساقى المودة حيناً على النيل وحيناً على بَرَدى وحيناً على دجلة

تلك وحدة الروح والهوى ، لا خلاف فيها على زعامة ، لأن زعيمها الخالد بالإجماع محمد . ولا خوف منها على استقلال ، لأنها كدين الله لا تعرف الحدود ولا تقبل الحصر . ولا مثار بها لعصبية ، لأنها كعروبة الإسلام لا تفرق بين أحد من الناس لدين أو جنس . والرسالة تحمد الله وتشكره على أن وفقها فى سِنِيها الثلاث عشرة لتكون جندياً صادق البأس خالص العقيدة من جنود هذه الوحدة . وكان الرجاء أن تصدق نبوءة المتنبئين بانطفاء هذه الحرب فى عامنا الذاهب ، لتستعيد الأرض قرارها المطمئن ، وتستأنف الحياة سيرها الآمن ، وتستقبل الرسالة عامها الجديد وهى على حال من القوة والفتوة والجِدَّة توافق هذا الجهاد وتطابق هذه السن . ولكن الشياطين ما برحوا يحتلون مختبرات العلماء ومكاتب الزعماء ورءوس القادة . ورأس الشيطان كنفس الإنسان لا يُسبَر غورها ولا يحد مداها ؛ فإذا خبت نار ذكت نار ، وإذا سكن إعصار ثار إعصار ، وكلما انكشف سر تلاحقت أسرار ؛ فالخطة تنسخ الخطة ، والعُدَّة ترفد العُدة ، والاختراع يتبع الاختراع . وليس يعرف لهذه القوى الجبارة أمداً تخور عنده إلا الخبير القدير الذى شاء أن يطامن من كبرياء الإنسان ويكسر من غروره ، فسلط هواه العارم على عقله القاصر ، ثم وكله إلى نفسه ، فاعتل إدراكه ، واختل توازنه ، وانطلق فى ضراوة الوحش ، ورعونة العاصفة ، يدمر ما عمّر ، وينقض ما أبرم ، ويقتل ما ولد !

* * *

ليست هذه الحرب مقصورة على جهاتها المادية بين الجيوش المتحاربة فى أوربا وآسيا ؛ إنما هى زلزلة اجتماعية عامة هزت كل وطن ، وبلبلت كل نفس ، وزعزعت كل نظام ، وغيرت كل معنى . فمن لم يجدها فى جيشه أو على أرضه وجدها فى نفسه وفكره وعقيدته وأحزابه وتقاليده ونظمه . والأسلحة والوسائل تختلف باختلاف البواعث النفسية فى كل محارب ؛ فقد تكون ، إذا تحركت فى الجماعة حوافز السمو ونوازع الكمال ، ثورة على قيد يعوق نهضتها ، أو على نظام يهين إنسانيتها ، أو على مذهب يستعبد عقليتها ، أو على حكم يلغى إرادتها

وقد تكون ، إذا اضطربت فى قرارة هذه الجماعة كدورة الطين وشهوات البهيم ، اعتداء على حُرَم الناس بالدس والسباب ، أو بالسرقة والاغتصاب ، أو بالغدر والحيلة ؛ أو تمرداً على الأوضاع الطبيعية ، فيرغب الفقير الكسول فى ثروة الغنى المجد ، ويتشوف العاجز الكَسِل إلى منصب القادر الكفء ، وتطالب المرأة الخرقاء مساواة الرجل فى الحق دون الواجب . .

ستنطفئ نائرة هذه الحرب فى وقت ما ؛ وستأتى نتائجها بالطبع منطقية مع أسبابها التى بعثتها على صورة من هذه الصور . فأما الذين أنفقوا فيها من أنفسهم وأموالهم ، فى سبيل أمجادهم وآمالهم ، فسيجدون الكمال فى هذا النقص ، والحياة فى هذا الموت ، كالشجر يغزر ويقوى بالقص ، وكالشجر يغلظ ويرف بالتقليم . وعقبى مثل هذه الحرب على الغالب والمغلوب وثبة إلى الرقى الإنسانى والعمرانى يُفتتح بها عصر ويبدأ تاريخ

وأما الذين أنفقوا من فضائلهم وأخلاقهم ، فى سبيل مناصبهم وأرزاقهم ، فقد خسروا كل شىء : خسروا ما لا كفاء له ولا عوض منه ، وربحوا ما لا بقاء له ولا فضل فيه . وهل تغنى المادة إذا ذهبت الروح ، أو تحيا الأمة إذا مات الخلق ؟

لقد نجا العالم العربى من حرب الإنسان التى تهدم لتجدد ، وتقلم لتثقف ، وتبيد لتزيد ؛ فهل نجا من حرب الحيوان التى تقتل لتأكل ، وتغلب لتَسلَّد ، وتغصب لتحتكر ؟ إنك يا سيدى أبصر من أن تُبصَّر . والنتن ينم على وجوده ، والشر يدل على نفسه . ومن لا ير يسمع . ومن لا يسمع يشم . ومن أعوزه الدليل فى نفسه وجده فى غيره . فليت شعرى ماذا أعد سادتنا وزعماؤنا للسلم التى تعقب هذه الحرب ؟ إن أقطاب العالم الثلاثة قد استعدوا من اليوم لتعمير ما اندثر من المدن ، وتجديد ما رثّ من النُّظم ، فهل يستطيع أقطابنا الثلاثون أن يستعدوا لتعمير ما خرب من الضمائر ، وتجديد ما رث من الأخلاق ، وتوثيق ما وهى من العقود؟

احمد حسن الزيات

في عيــــد المعري

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذا قطار فلسطين ، يحمل ذكرى البلاد التي نحبها ، ويُهيّم بنا مهوى أفئدتنا ، ومثار أشواقنا من بلدان وجماعات طالما حنَنّا إليها ، وسعدنا برؤيتها ، ورددنا الفكر بين ماضيها وحاضرها ، ووجّهنا العزائم والآمال إلى مستقبلها . وإن حزّ في نفوسنا الألم لها فإنه الألم الذي يحفز الهمم ، ويُمضي العزائم ، ويُعدّ العُدد ، ويجمع الكلمة ، ويؤلف القلوب ، ويؤكد الآمال

وهذه قناة السويس تسيل مع مائها العبر ، ويجرى التاريخ ، ويزخر الحاضر بما عبرها من الجنود والخطوب . وليس هنا مجال الحديث عنها . ليس بها من جديد إلا جسر من حديد جمع عِبْرَيها ليعبر القطار بركابه لا ينتقلون من قطار إلى آخر ، ولا يشق عليهم العبور بأمتعتهم ليلاً على مُعدّيات القناة . ووقف القطار على القنطرة الشرقية وقفته لجوازات السفر وما يتصل بها . ثم سار حين كاد ينتصف الليل فضرب في بيدائه ، وعبرناها مضطجعين ، تجيش بنا هموم لا تنام ولا تُنيم . ولاحت فلسطين مع الضحى ، والعين تتقرّى ما يسر وما يسوء ، والفكر يضرب في الماضي والحاضر ، ثم يرى مستقبلاً تكفله القلوب المجتمعة والعزائم الموحدة

وبلغ القطار حيفا ظهراً متأخراً عن موعده ساعتين أو ثلاثاً . ولم نتلبث بها إلا ريثما أعددنا لاستئناف السفر . وهذه سيارتنا تغور وتنجد ، وتتوقّل الجبال وتنحدر على السفوح ، وتقطع الأودية ، وتقف عند حدود لم يخلقها الله ، ولم يعرفها التاريخ ، ولم يقرّها الحق ولم تقبلها الأوطان ولا أهل الأوطان ... فلنطو المسافات ، ونقتحم العقبات ، مسرعين إلى دمشق الجيلة الجليلة

أدركنا الليل ونحن نُغِذّ السير على مقربة من دار الأمويين فطمحت الأبصار ، وهفت القلوب ، وغشى الأنفس ما غشيها من جلال الذكر ، ومن الاغتباط والابتهاج بالعود إلى المدينة التي ما دخلتها ولا خرجت منها ولا غبت عنها إلا محبًّا لها مشتاقاً إليها معجباً بها مفكراً فيها آملاً لها كل خير ، داعياً لها بما هي أهله من الأمن والرخاء والمجد والعظمة . المدينة التي ما دخلتها ولا أقمت بها إلا منشرح الصدر ، قرير العين ، على رغم الخطوب والكروب ، والتي قلت فيها وقد عاودت الشعر بعد طول العهد ، من أجلها :

أحيت دمشقُ رميم الشعر في خَلَدي
لا غرو أن تبعث الأشعارَ أشعار

أقصر أيها القلم فإني متهم بالعصبية لدمشق ، والمغالاة فيها . وما حملتك بناني الآن لتكتب عن دمشق ، ولكن عن عيد أبي العلاء المعري

بلغنا دمشق بعد الغروب بساعة ونزلنا عند فندق أميّة . وقد تعودت أن أنزل به وذكرته في بعض رحلاتي ، فلم نجد به مكاناً فنزلنا بفندق دمشق — وكنا نزلنا به في بعض أسفارنا مع طلاب الجامعة المصرية ونزل رفقاء لنا في غيره . ففخر فريقنا عليهم بأن تسمّوا بالدمشقيين

ولم يستقر بنا المقام في الفندق حتى جاء بعض إخواننا المشرفين على مهرجان أبي العلاء ، فرأينا وجوهاً معروفة محبّبة إلينا . ولا أذكر أسماء خوفاً من التطويل إن ذكرتها كلها والعتاب إن ذكرت بعضها . وأصبحنا في دمشق يوم الجمعة خامس شوال سنة ١٣٦٣ وقد بقي للمهرجان ثلاثة أيام ، واجتمعنا هذا اليوم نحن وجماعة من علماء الشام وأدبائها أعضاء المجمع العلمي العربي في دار المجمع ، وهي المدرسة الأشرفية التي بناها الملك الأشرف الأيوبي .

وكان العمل يُسرع في صحنها لتشارك في حفلات أبي العلاء ، ولكن وافى المهرجان ولمّا يفرغ منها الترميم . وجلسنا مع رئيس المجمع وبعض أعضائه حيناً . وقدم إلينا من مطبوعات المجمع :

كتاب التبصر بالتجارة لأبي عثمان الجاحظ . صححه وعلق عليه السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي

تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة لأبي منصور الجواليقي . صححه وعلق عليه الأستاذ عز الدين التنوخي

ديوان الوليد بن يزيد جمعه المستشرق الإيطالي جبريالي وكتب مقدمته الأستاذ خليل مردم بك

بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام لمحمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي نشره الأستاذ عز الدين التنوخي

الجزء الثامن من جامع التواريخ للتنوخي

وعدنا إلى دار المجمع مرة أخرى بعد أيام ، فزرت ضريح الملك الأشرف ، وقد اتخذت حجرة الضريح خزانة كتب . ثم خرجنا إلى البناء المقابل وهو المدرسة الظاهرية التي بناها الملك الظاهر بيبرس، وزرنا القبة التي فيها قبره، ورأينا بدائع النقش والفسيفساء فيها . وقد جعلت هي وحجرة متصلة بها خزانتان لبعض كتب المكتبة الظاهرية . ورأينا حول قبر الظاهر طائفة من الكتب المكتوبة بأيدي علماء معروفين فرأينا سلسلة من خطوط كبار علمائنا في عصور متطاولة . منها :

مسائل أحمد بن حنبل بخط الذهبي

كتاب بخط سبط ابن الجوزي

إنباء الغُمْر لابن حجة بخطه

كتاب بخط ابن تيمية

كتاب بخط ابن القُوطي

كتاب بخط ابن عبد الهادي

كتاب بخط ابن عساكر

كتاب بخط الغزّي

كما رأينا كتباً أخرى قديمة نفيسة

وأمضينا سحابة يوم السبت في الربوة دعانا إليها اثنان من كرام تلاميذنا : الدكتور أسعد طَلَس والأستاذ شكري فيصل ، فاجتمع هناك الأساتذة طه الراوي ممثل العراق في مهرجان المعري ، والأساتذة أحمد أمين ، وعبد الحميد العبادي ، واحمد الشايب ممثلو جامعة فؤاد ، وجامعة فاروق ، والمجمع اللغوي

والربوة مكان جميل نزه يحار فيه الطرف والفكر بين ماء يسقط من قمة الجبل حيث يجري نهر زبد وماء يجري على السفح ، وآخر في بطن الوادي وآخر في العدوة الأخرى وآخر فوقه . هناك تجري شُعَب سبع من هذا النهر المبارك العجيب نهر بردى ، في القمم والسفوح وبطن الوادي وأصلها واحد

والماء هناك تتجلى به الحياة قوة وبهجة وزينة ولعباً ، يسقط من السماء على السفح شلالاً ، ويجري على السفوح وفي الوادي أنهاراً ، ويستتر تحت الشجر والعشب ، يومض بينها أحياناً ويختفي ، ويفجؤك منبجساً من صخر أو صاعداً من نافورة ، أو سائلاً من جدار ، وتسمع خريره أحياناً ووسوسته حيث لا تراه . فما تزال بين الفكر والنظر والسرور والتعجب والمرح والوجوم . ولا تدعك هذه المرائي الجميلة العجيبة تفلت من بهجتها إلى التفكير فيما يحزنك من هموم العيش ، ولا يخليك الجمال والجلال من نظر ساهر ، وخيال حائر ، ووجوم سار ولذة يشوبها حزن .

ولا يمكنك هذا الجريان الذي هو أشبه بالزمان أن تحس مضي الوقت . ولا ينبّهك طول الزمن من التمادي مع هذا الجريان .

وما أحسبني جلست على هذه الربوة فقدّرت الجلوس بالطول والقصر ، والساعات والدقائق ، ولكنها أفكار متوالية ، ونظرات متمادية ، وصُوَر متتابعة ، لا يدري الإنسان بينها أهو في فراغ أم في شغل ، وفي تفكير أم في غفلة ، وفي جد أم في لهو ، حتى يدعوه صحبه إلى الكلام أو القيام فيتكلم مشغولاً بها ، ويقوم وملء عينيه التلفت إليها ، وفي جوانحه الحنين إلى معاودتها ...

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

دراسة اللغة العربية وآدابها

للدكتور محمـــد مندور

لا أستطيع أن أصور للقارئ مبلغ دهشتي عند ما وصلت إلى باريس وسألت في السربون عن ليسانس الأدب الفرنسي فأخبرت أن هذا شيء لا وجود له . فأنت لا تستطيع أن تحصل من الجامعات الفرنسية على ليسانس في آدابهم وإنما هناك شيء اسمه الليسانس الكلاسيكي ، وهو يتكون من أربع شهادات عليا كل منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال . ولك أن تبدأ بالتقدم لأيها شئت وفي أي سنة تريد بعد تمضيتك للسنة الأولى بالجامعة . وهذه الشهادات هي : شهادة اللغة اليونانية القديمة وآدابها، وشهادة اللغة اللاتينية وآدابها، وشهادة اللغة الفرنسية وآدابها ، وأخيراً شهادة فقه هـذه اللغات النحوي وإذن فلا يستطيع أن ينال الليسانس ، أي إجازة التدريس في الأدب إلا من يعرف اللغتين اليونانية واللاتينية وفقههما اللغوي، وذلك إلى جوار اللغة الفرنسية وأدبها وفقهها وفي الجامعة تلقى الدروس والمحاضرات التي تُعد لكل من هذه الشهادات ، ولك أن تحضر منها ما تريد ، وتتقدم إلى الامتحان عند ما تحس أنك قد وصلت إلى المستوى المطلوب وهو مستوى رفيع جداً لا نصل إليه هوناً؛ حتى إن قليلاً جداً من الأجانب من يستطيع أن يجازف فينافس الفرنسيين في هذا الميدان العويص : وذلك لأن الفرنسيين لا يتقدمون إليه إلا بعد إعداد طويل بمدارسهم الثانوية حيث يدرسون تلك اللغات جميعاً دراسة متينة مفصلة . وكاتب هذا المقال يستطيع أن يتحدث عن يقين عن جدية هذه الدراسات وقد تقلمت فيها أظفاره . ولقد يدهش القارئ عند ما نخبره أن الامتحان في شهادة الآداب الفرنسية شيء بالغ البساطة في صورته بالغ المشقة في جوهره . فالامتحان التحريري عبارة عن سؤال واحد تعالجه في أربع ساعات ، فإذا نجحت تقدمت إلى الامتحان الشفوي أمام ثلاث لجان : اثنتان منها لقراءة وشرح نصين أحدهما قديم والآخر حديث ، وأمام اللجنة الثالثة تُسأل في مسألة من نظريات الأدب أو مدارسه أو كتابه . وهم لا يتطلبون منك في التحريري أن تدل على تحصيل فحسب ، بل لا بد أن تثبت إلى جانب ذلك مقدرة حقيقية على النقد الشخصي والفهم العميق . ثم لا بد فوق كل شيء من أن تملك هبة الأسلوب وجماله ، وذلك لإيمانهم أنه لا بد أن تكون إلى حد ما أديباً لتصلح مدرساً للأدب ، وعندهم أن الأدب من المجالات التي لا يغني فيها شيء عن مواهب النفس

غادرت مصر بعد أن درست الأدب العربي بجامعتها وعدت إلى مصر فدرّست الأدب العربي بجامعتها ، ولقد كنت منذ عودتي شديد التبرم بمناهجنا وطرق فهمنا لآدابنا القومية . ولقد جاهدت في سبيل إصلاحها ما استطعت حتى تركت الجامعة ، ولكن تركي لها لن يمنعني أن أواصل الجهاد في خارجها . وذلك لإيماني بأن دراسة الأدب هي المدرسة التي يتخرج منها قادة الرأي في البلاد . فهي مدرسة الثقافة العامة ومدرسة فن الكتابة وما أريد أن تعترض سبيلنا نزعات مغرضة فتُحارب بتعصب لمناهج الغرب التي تكونا بين أحضانها . ولي أمل كبير في أن يوليني القارئ الثقة حيث أنني قد بلوت مناهجنا ومناهجهم في نفسي وأطلت فيها التفكير بعد أن استطعت أن أستقل بالحكم؛ ومن واجبنا أن نأخذ الخير حيث نجده

وفي دراستنا للغة العربية وآدابها عيبان كبيران ، يشق على من لم يُدرس اللغات والآداب الأخرى أن يدركهما أو يجد لهما علاجاً . ولا بد إذا أريد القضاء عليهما من إعداد جيل جديد من الذين تثقفوا بأوروبا للنهوض بتلك المهمة الشاقة ، مهمة تدريس اللغة العربية وآدابها ، وبغير ذلك لن تكون أية محاولة غير ضجة عقيمة ، وهذا رأي يؤمن به من كبار أساتذتنا المصريين من استطاع منهم لرحابة عقله وتخلصه من الهوى الشخصي أن يدرك الحقائق في شجاعة ونبل

أما العيب الأول فهو فهم معنى الأدب : فالأدب مقصور عندنا على الشعر والنثر الفني عند العرب . ومن الملاحظ أن الشعر

قد غلبت عليه ابتداء من القرن الثالث الهجرى روح المحاكاة حتى إن التجديد فيه لم يعد إلا بمقدار . وأما النثر فإنك إذا قصرته على الفنى منه لم تخرج إلا بمحصول ضئيل : خطب ورسائل ومقامات وتوقيعات وأمثال . ولقد كان ظهور النثر متأخراً ، وكان عمر الجيد منه وهو النثر المرسل الخالى من الصنعة المتكلفة قصيراً إذ لم يلبث أن طغى البديع ابتداء من القرن الرابع فجرد الكتابة من صدق الإحساس وجوهر الفكر . والإحساس والفكر هما المادة التى إذا خلت منها كتابة فقدت الكثير من قيمتها . وياليت الأمر قد وقف عند هذا الحد ، فمنى الأدب حتى على النحو الضيق الذى ذكرنا قد تغير فى عصرنا الحاضر؛ وذلك لأن العرب لم يعرفوا فى الحقيقة غير الشعر الغنائى والنثر القصير الباع ، وأما الأدب المسرحى وأدب القصة فذلك ما لا نستطيع أن نقول على نحو جدى إنهم قد عرفوه . فالبون شاسع بين أنواع الحوار التى خلفوها من أمثال حوار وفود العرب عند كسرى وغيرها وبين المسرحية بالمعنى الحديث . وكذلك الأمر فى البون بين أيام العرب وما شابهها من قصص وبين القصة بالمعنى المعروف اليوم . وها نحن منذ اتصالنا بالغرب أخذنا نكتب القصص والمسرحيات ، وهذا يضعنا فى موضع فريد بين الأمم ، فالجامعات فى أوروبا لا تتناول عادة بالدراسة الأحياء من الكتاب . وفى فرنسا كلها لا يدرس الأدب المعاصر فيما أعلم ، ولا تعطى عن دراسته درجة علمية إلا فى جامعة واحدة هى جامعة استراسبورج ، وأما السربون فتقف مناهجها عند أواخر القرن التاسع عشر . ولو أننا فى مصر حذونا حذوهم كما نفعل الآن لكان موقفنا عجيباً . فسيخرج الطالب وهو لا يعرف عن أدب القصة وأدب المسرحية ، وأصولها ونقدها شيئاً . ومعنى ذلك هو أن الجامعة لن تساعد على خلق بيئة أدبية ورأى عام أدبى ، ينمو فيهما أدبنا الحديث ، ويتجه وجهة جدية تساير تيارات الأدب العالمى ، وتدخلنا فى ثناياه . وأمعن من ذلك فى الدلالة ما نلاحظه من أن الشعر الغنائى، بل وكافة أنواع الشعر حتى المسرحي منه ، آخذ فى التقهقر أمام النثر فى كافة بقاع العالم حتى لأذكر أنه لم يعد فى فرنسا كلها غير مجلة واحدة متخصصة بالشعر هى مجلة « اجدرازيل Yggdrasill » وهى مجلة شهرية . وعلى العكس من ذلك النثر ، فقد احتل موضع الصدارة . ومن بين فنون النثر كلها أصبح للقصة بأنواعها المكان الأول . ومع ذلك فجامعتنا لا تزال عنايتها بالشعر فوق عنايتها بالنثر ، وهذا أمر يفسره ما ذكرنا من قصرها لمعنى النثر على الفنى منه . وباستطاعة القارئ أن يتناول أى كتاب فى تاريخ أى أدب أجنبى كالأدب الفرنسى أو الإنجليزى أو الألمانى ، وأن يقلب فهرسه ليجد فصولاً ممتعة عن التاريخ والمؤرخين والفلسفة والفلاسفة ، وعن كتاب الأخلاق والاجتماع والباحثين فى فلسفة العلوم . ونحن لدينا أمثال هؤلاء : لدينا المؤرخون والفلاسفة والمتصوفة وعلماء الكلام ، وفقهاء التشريع ، ورجال الأخلاق والاجتماع . فلماذا لا نوسع من معنى الأدب كما يفعل الغربيون فندخل دراسة هؤلاء الكتاب جميعاً فى مناهجنا وندرسهم بروح العلم الحديثة ، وننقد مواضع الضعف عندهم وسبل الكمال على ضوء ما وصل إليه الغرب ، وبذلك يخرج طالبنا بمادة فكرية لها قيمتها بدلاً من قصره على الدراسات اللفظية التى نأخذه بها اليوم؟

ولكننا إذا أردنا أن نفهم الأدب بهذا المعنى الواسع ، وإذا أردنا أن ندخل فيه أدبنا المعاصر الذى نأخذ ألوانه عن الآداب الغربية ، تبين عندئذ صدق ما قلناه من قبل من أنه لن يستطيع عندئذ الاستقلال بتدريسه إلا من ثقف ثقافة غربية وتشبع بمناهج الغرب على نحو واسع متين

والعيب الثانى قائم فى منهج الدراسة فهو لا يزال المنهج التقريرى كما عرفته القرون الوسطى مع أن مناهج الدراسة فى كافة الجامعات اليوم قد أصبحت المناهج التاريخية ، ومن واجبنا أن نسلك مسلكهم فنوفر على أنفسنا قروناً من الزمان ، ولو أننا فعلنا لتغيرت دراساتنا كلها رأساً على عقب ، فالنحو عندئذ لن ندرسه على أساس أنه معايير للصحة والخطأ ، فتلك دراسة مكانها فى المدارس الثانوية وإنما نتناوله كتطور تاريخى للغة منذ أصولها السامية إلى أن انتهت اليوم باللهجات العامية ، وهذه

دراسة لا تعرف الخطأ والصواب وإنما تعرف التحول الطبيعي الخاضع لاعتبارات عضوية واجتماعية ونفسية . والبلاغة علم سنحذفه أصلا من برامجنا كما حذفته جميع الجامعات ونحل محلها دراسة الأساليب وتاريخ تكوينها والتمييز بين اتجاهات الكتاب المختلفين وتحديد خصائصهم الروحية باعتبار أن الأسلوب صورة لملكات الرجل لا وسيلة من وسائل الأداء اللفظي فحسب ...

وسوف نفطن عندئذ إلى شيء لم نسمع بوجوده بعد في جامعتنا وهو تاريخ اللغة ، ففي كل الجامعات نجد كراسي لأساتذة كبار يضطلعون بهذه المهمة الشاقة ولقد أتيح لي أن أتابع سنوات دراسة الأستاذ فرديناد برينو لتاريخ اللغة الفرنسية بالسربون . وكم كان يشجيني أن أستمع إلى هذا الشيخ الجليل وهو يقص تاريخ لغته ، فإذا به يكشف لنا بهذا التاريخ عن العقلية الفرنسية كلها وقد رسبت على طول القرون في مفردات اللغة وتراكيبها ولقد كان يخيل إلي عندئذ أن هذا الرجل لا يلقي إلينا بعلم ، وإنما يقص ذكريات حياته الخاصة ، وذلك لطول معاشرته لتلك اللغة وإلفه لها ولقد أودع الرجل — رحمه الله — محصول عمره فيما يقرب من عشرين مجلداً في كل مجلد ما يقرب من ألف صفحة من القطع الكبير، وأجمع الفرنسيون على أن هذا الشيخ الوقور قد أقام لفرنسا بكتابه هذا عن « تاريخ اللغة الفرنسية » تمثال مجد لن يفنى أبد السنين . وكم كان رائعاً يوم وفاته أن تحمل جثته إلى ساحة السربون ويأتي الوزراء ورجال الدولة ومعهم فصائل من الجيش وموسيقاه ليحيوا رفاته الطاهرة في مشهد وطني رسمي كان من أكبر ما أثر في نفسي إذ كشف عن عظمة هذه الشعوب التي تعرف كيف تقدس الفكر البشري .

والمنهج التاريخي كما سيجدد تدريسنا للغة ، سيجدد أيضاً تدريسنا للأدب ، فالأدب كما نريد أن نفهمه هو مستودع الحضارة، وما أظن أننا نستطيع أن نفهم الحضارة العربية فهماً صحيحاً ما لم نكشف عن أصولها ومصادرها ، ولك أن تقلب الرأي كيفما شئت فستنتهي إلى نتيجة حتمية هي أن الثقافة العربية مزيج من عناصر ثلاثة : العنصر العبري ، والعنصر الفارسي ، والعنصر اليوناني . ففي القرآن وفي الاسلام مالا يحصى من مبادىء التوراة وقصص التوراة وأصول التوراة التشريعية ، وفي الحضارة العباسية الكثير من وسائل الحياة الفارسية ببذخها ومظاهرها المادية ، بل وتياراتها الأخلاقية والفكرية في بعض الأحايين ، وأما اليونان فأظن أن تأثيرهم في الفلسفة الاسلامية والمنطق الاسلامي وعلم الكلام بل وفي العلوم اللغوية كالنحو والبلاغة وغيرها أوضح من أن يذكر .

والآن لو وسعنا من معنى الأدب وزدنا من عنايتنا بالنثر وأدخلنا في دراستنا إلى جوار الأدب القديم الأدب المعاصر ، ولو أصلحنا مناهجنا فجعلناها تاريخية كيف نظن أننا نستطيع عملياً أن ننظم تلك الدراسة . أليس من الخير لنا أن نأخذ بالنظام الفرنسي فلا نقيد دراسة الأدب العربي بسنين بل نجعله شهادات يحضر الطلبة ما يريدون منه ، حتى إذا أحسوا بنضوجهم تقدموا إلى الامتحان ؟ ونوع هذه الشهادات أمرها واضح فهي لا يمكن أن تكون إلا : ١ — شهادة اللغة العبرية وآدابها . ٢ — شهادة اللغة الفارسية وآدابها . ٣ — شهادة اللغة اليونانية وآدابها . ٤ — شهادة اللغة العربية وآدابها . وبذلك يخرج الطالب مثقفاً ثقافة حقيقية تمكنه من أن يفهم التراث العربي فهماً صحيحاً وأن يستطيع مقارنته بغيره من الآداب ..

ومن البين أنه يجب أن يصلح نظام التعليم في المدارس الثانوية بحيث توجد به فروع تمد إعداداً صحيحاً لهذا النوع من الدراسة الجامعية بحيث يخرج الطالب ولديه العناصر الأساسية لمواصلة دراسته .

ولست أجهل ما في مثل هذه الدراسة من مشقة ، ولكن الأوروبيين يعالجون مثلها في دراسة أصول آدابهم اللاتينية واليونانية ، ولقد تغلبوا على تلك الصعوبات ، فلماذا يقعد بنا نحن الكسل عن مواجهة الطرق الجديدة والسير في السبل الصحيحة ؟

محمد مندور
المحامي

الحياة صادقة!

العــــدل الالهى!

مقدمات لإدراكه والبقين به

[مهداة إلى العقاد الكبير بمناسبة مقاله « تبـــارك رزاق البرايا »]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ — لا شك أن « العقل » هو المميز والخصوصية الأولى للانسان ، فواجبه أن يثق به ويقيم حياته جميعها عليه ، وهو محاسب عليه أشد الحساب . لأنه ميزان الحساب في كل شيء

وهو الذي وطد الحيـاة الاجتماعية التي يحياها الإنسان الآن ، وإليه يرجع كثير ممـا في الحياة الإنسانية من آثار الرفاهة والسعادة والخدمة المشتركة بين الناس ، فلما ذا لا يصمم الإنسان على ألا يحيد عنه حتى يرتاح دائماً ؟

ولما ذا لا يعرف أن عقله روح من العقل الأعلى الذي يدبر الـكون بالتدبير والدقة والاطراد وعدم الإخلال بشيء ؟

إن الغرائز يجب أن تكون ملجمة بحدوده حتى يتأتى تقدم الإنسان دائماً وعدم ارتداده وانتكاسه

وعقلنا هو نتيجة تلاقي المؤثرات المختلفة التي في الطبيعة على كياننا ، فيجب أن يكون تلاقي هذه المؤثرات موزوناً بنسب معينة تقريباً من جميع الجهات ، حتى يخرج العقـل منسوقاً موزوناً ... فإذا صار لشيء من الطبيعة زيادة تأثير على ناحية من كياننا ، كان في هذا اختلال لمركز التجمع الفكري العام .

ومهمة التربية والتنشئة أن توازن بين تسلط هذه المؤثرات الطبيعية جميعها على الإنسان ، فلا تجعل مؤثراً أو عدداً من المؤثرات يطغى أو يستأثر بالتسلط عليه ، بينما المؤثرات الأخرى تكون معطلة

فإنسان الصحراء وحدها قد خضع لمؤثراتها وحدها ، فله عقل معين ؛ وإنسان المزارع وحدها متأثر بها وحدها ، فله عقل آخر . وإنسان المدن الصناعية له عقل ثالث . وهلم جرا

وإنسان الفن وحده له عقل معين ، وإنسان العلم وحده له عقل آخر ، وإنسان الأعمال التجارية له عقل ثالث وهلم جرا .

فلـكي نتحاشى أن تكون الفروق بين العقول فروقاً فاحشة بحيث لا يمـكن تلاقيها ، يجب أن نجعل الفرد تتقلب عليه شتى المؤثرات وتتداول فـكره ، حتى تـكون آثارها فيه بنسب موزونة تعطيه سعة النظر إلى الحياة وتقدير آفاقها جميعاً

وإني لأعجب للدولة الواحدة التي تترك أفرادها ، وبينهم من التفاوت في النشأة العلمية والاقتصادية والخلقية ما لا يمكن أن يتصور معه لقاء منهم على شيء !

فـكيف يتصور هؤلاء الأفراد الأوزاعُ المشتتون الذين لا رابطة تجمعهم معاني العدالة الإلهية أو العدالة الإنسانية ؟ !

لا شك أنهم معذورون إذا لم يستطيعوا أن يتصوروا تلك المعاني الـكلية الجامعة التي تحتاج إلى إعداد وتهذيب وتمرين خاص لإدراكها

٢ — وأول نظرة يدركها العقـل الذي يتعرف وجهات الحياة والاعتراف بجميع الأمم والشعوب ، المتحرر من التأثر بالخلافات ومواريث التاريخ ، توحي أن الإنسانية أسرة واحدة ، وأن الأرض وطن واحد لهذه الأسرة

وثاني نظرة توحي أن الله وضع الإنسان في الأرض موضعاً عظيماً هو موضع السيد المتصرف ، على الأقل في الظاهر

وثالث نظرة توحي أن الله أطلق للانسان قدرة وأعطاه اختياراً لتـكييف حياته كما يشاء . .

ورابع نظرة توحي أنه يكاد لا يكون في الطبيعة فساد ولا آلام تجعل وجه الحياة كريهاً مشوهاً ، لا يعاشر إلا على غضاضة ومضاضة إلا بفعل الإنسان الذي نسبة الشرور التي يرسلها هو على الحياة وعلى بني جنسه أعظم بكثير من الشرور التي تأتي من الطبيعة مباشرة كالبراكين والزلازل والطوفان والصواعق ... الخ ، وخصوصاً في هذا العصر الراهن ... ومن المشاهد المعروف أن الإنسان لا يضيق صدره بقضاء الله وقدره المباشر ، ولا يثور غضبه وحقده ، ويتحول إلى عامل دمار وخسار إلا في مقاومة الاعتداء والشر الإنساني الذي يأتيه من الناس ، لأنه يجد نفسه في قدرة على دفاعهم والانتقام منهم ، فيقدم على ذلك ليرضي حزازات نفسه . أما شرور الطبيعة ، فيتألم منها ، ولـكن لا يثور عليها ، لأنه لا يملك أن يثور عليها ، فهو يجد أن أحسن وسيلة للقائها هو الصبر والاحتمال ومحاولة مقاومتها بإدراك أسباب الوقاية أو المعالجة

فإذا أردت أن « تحاكم » الله ، وتعرف واجبه الذي فرضه على نفسه ، فلا تنظر نظرة ضيقة متأثرة بالأنانية الشخصية

أو القومية ... لا تنظر إليه من مكانك أنت فى أمتك ولا من مكان أمتك فى الأمم ، بل انظر إليه وأنت تمثل الإنسانية الواحدة الهائلة ...

ثم إذا أردت أن تنظر إلى الإنسانية فى الأرض ، فانظر إليها من السماء نظرة الله ... إنك حينئذ تراها هكذا : أسرة واحدة منوعة أفراداً وجماعات وأمماً .. كل جماعة استأثرت بمكان ومنعت غيرها عنه . وكان اقتسام الأمكنة غير عادل فأخذت أمة السهول الممرعة ونالت أخرى الأجادب ، فزاغت عيون المحرومين وجاءوا إلى الضروريات فلم يلب لهم رجاء ، ولم يخف المترفون الأغنياء لنجدتهم ، فهاجوا وقاتلوا واستولوا وأذلوا وصار بعضهم يموج فى بعض . .

وحقيقة الحقائق الاقتصادية التى يجب أن تقوم عليها فلسفة الحياة المادية ، أن ما فى الأرض من خيراتها ومناجمها وموارد الأرزاق كاف لجميع سكانها . . ذلك أمر تولى الله تقديره وتدبيره « وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » .

كان الواجب العقلى المجرد من الغرائز أن يسرع المتخوم بإسعاف المحروم ، وأن يقتسم معه ما زاد عن كفاياته ، وأن تقوم حكومة عادلة تتولى ذلك . . فإن الأرض كلها ميراث للإنسانية كلها كما يرى الله وكما قدر ودبر ...

٣ — وعقيدتى أن كل ظلم واقع على المستضعفين مسئوليته أمام الله واقعة على كاهل الأمم القوية ، وكل أمة جاهلة مسئولية جهلها واقعة على الأمم العالمة . . وكل أمة فقيرة مسئولية فقرها واقعة على الأمم الغنية . فالله تعالى ترك القاصرين منا للراشدين ، كما يترك الأب أولاده الصغار لرعاية الكبار . . ذلك قياس العقل الإنسانى وذلك منطقه فى الأسرة الواحدة . فلم لا يكون قياسنا فى الأمة الواحدة ، ثم فى الأمم المتعددة ؟ !

ولذلك كانت النفس العربية فى أول نهضتها برسالتها تحس ذلك الإحساس المتمثل فى قول رسول الله : « كلكم راع وكلكم مسئول » .

وقول أبى بكر : « لو أن عقال بعير ضاع بالعراق لحسبت أنى مسئول عنه أمام الله » .

وقول عمر حينما رأى شيخاً قبطياً يسأل الناس على باب مسجد « لقد أضعناك صغيراً ولم نكفك كبيراً » وأجرى عليه رزقاً يكفيه . .

وقد قام العرب أول الأمر بمقتضيات هذا . فكانوا يعتقدون أنهم مسئولون عن إصلاح الناس جميعاً ، ورعاة لهم جميعاً . . فتنقلوا كالسحب لا يبحثون عن الأمكنة الخصبة للاستعمار ، بل يبحثون عن عباد الله للارشاد والإنقاذ والتعليم ، فكان أحدهم يخرج من جنات الشام والعراق ومصر إلى صحارى الشرق والغرب يبحث عن النفوس الضالة والعقول الشاردة . . فلما ركنوا إلى المكث فى الرياض وتركوا الهجرة لمثلهم الأعلى وفقدوا التبشير به قل دخول الناس فى دينهم إذ وجدوهم مثلهم . . تجار دنيا . .

٤ — إن العقل إذا أهمل ضلت الإنسانية وتحولت أسباب حسناتها إلى سيئات . . والمسئول عن ذلك ليس الله ، بل الإنسان فى مجموعه ، ولم يخل عصر من العصور التاريخية من امبراطورية عظيمة كانت تسيطر على أغلب مقدرات الأمم ، وتستطيع أن تقيم العدالة بينها لو أرادت ، ولكن الأنانية والجهل وعدم الانتباه إلى مسئولية الخلافة فى الأرض هى التى ملأت الأرض بالظلم والفساد . .

والدليل على ذلك أن الانجليز مثلا أو الجرمان أو الروس البلاشفة أو الأمريكان حين أقاموا دولهم فى بلادهم على الشعور بالوصاية العامة وتوزيع العدالة بالتساوى ارتفعت نفوس الأفراد وصحت لأجسام وسمت عقائد الحياة وتقدم العلم وكفيت حاجات النفوس إلى حد ما . مع أن كل أمة من هؤلاء مكونة من عدد كبير . . بينما أمة صغيرة من الهمج وأشباههم لا يزيد عددها على بضعة آلاف ولا تزيد مساحة بلادها على بضعة أميال ، تعيش فى فوضى واضطراب وفساد وجهالة . وذلك لعدم الاحساس بالمعنى الإنسانى فى كل فرد ، وعدم الاحساس بالوصاية وعدم تدبير الأمر بينهم .

وإن حياة السوء التى تحياها الأمم المتأخرة هى التى تبلبل عقائد المفكرين منا والجهال . وتجعلهم يحملون الله مسئولية ما يقترفون هم . . . إنهم يعترفون بالأقدار ويحملونها متاعبهم ومسئولياتهم حين يكونون متأخرين متقاعسين ، ولا ينظرون إليها ويعترفون بها حينما يكونون قادرين .

وإنك لو فكرت وقدرت لوجدت أن جرائم القادرين والأغنياء هى التى سببت ملء الأرض بجرائم الفقراء كالسرقة والقتل وحمل أسباب الأمراض وآثار الفقر المدمر . .

(للكلام صلة) عبد المنعم خلاف

على هامش النقد :

مليم الأكبر

بحث وقصة ... عادل كامل

للأستاذ سيد قطب

أيها القارئ !

هذا كتاب يجب أن تقرأه . لا لأنك ستوافق على كل ما جاء فيه ؛ ولا لأنك ستنبذ كل ما جاء فيه . ولكن لأنه سيثير انفعالاتك بالرضى مرة وبالسخط مرة ؛ ولأنه سيدعوك إلى التأمل والتفكير في كثير من القضايا المسلم بها في الأدب والفن والأخلاق والنظم الاجتماعية والاقتصادية ، لتنبذها وتحطمها ، أو لتذود عنها وتتمسك بها ...

وأيما كتاب استطاع أن يستجيش انفعالاتك على هذا النحو ، فهو كتاب قد وهبت له الحياة ، ولو قذفت به في النهاية إلى الجحيم !

وقد كان الكتاب في أول أمره « قصة » تقدم بها الأستاذ « عادل كامل » إلى « المجمع اللغوي » لتنال جائزة معينة ، فرأت لجنة المجمع الأدبية لاعتبارات خاصة ألا تمنحها الجائزة ... ومن هنا نشأ « البحث » الذي يرد به المؤلف على هذه الاعتبارات ، فيتناول فيه نواحي في اللغة والأدب والفن والأخلاق ، لا تقل في قيمتها ، ولا فيما تثيره من انفعالات السخط والرضى عن القصة ذاتها

ونحن نؤثر أن نسير في مناقشة هذين الكتابين ، حسب وجودهما في عالم الحياة فهذا هو الترتيب الطبيعي للأشياء

* * *

قصة « مليم الأكبر » هي قصة الصراع بين الطبقات ، مصبوبة في قالب فني . فهي على هذا الوضع من أدب « الوعي الاجتماعي » الذي يدعو إليه جمهور من المفكرين في جميع أنحاء العالم ، وتدعو إليه الاشتراكية والشيوعية بشكل خاص !

ولهذا النوع من الأدب قيمته ـ وبخاصة في هذه الفترة من حياة العالم ـ ولكن الذي يثير الانتقاد هو غلو الداعين إليه ومبالغتهم في فرضه على جميع الفنانين ؛ بوصفه ضريبة إنسانية على كل فنان ... هذا الغلو غير مفهوم من الوجهة الفنية ـ بل من الوجهة الإنسانية ـ فالإنسانية ليست هي هذا الجيل وليست هي بضعة الأجيال المقبلة ... إنما هي الأجيال الماضية منذ الأزل ، والأجيال المقبلة طول الأبد . وهذه وتلك لا تنكمش في هذا الحيز الضيق ، حيز جيل من الأجيال . ثم إن هنالك مطالب الإنسانية التي لا تنحصر في ضرورات الطعام والشراب ؛ ولا في حيز الضرورات على الإطلاق ؛ إنما تتطلع إلى آفاق أرفع وأرحب ؛ وتهفو حتى في أشد حالات الضرورة إلى ألوان من الفن المطلق الرفيع

وإذا صح أن أدب الوعي الاجتماعي ضريبة على كل فنان ، فلتكن نسبته هي نسبة الضرائب إلى مجموعة الإيراد ! بل ليكن فرض كفاية على الفريق المهيأ له من بين جموع الفنانين ؛ فالتجنيد قد يصلح في كل بيئة إلا بيئة الفنانين !

* * *

ثم أبادر إلى تصحيح وهم ربما يكون قد سبق إلى ذهن القارئ حين وصفت هذه القصة بأنها من « أدب الوعي الاجتماعي » ... إن انحصار القصة في هذا الحيز لم يسلبها السمة الفنية الأصيلة . وإن المؤلف ليبدو في قصته هذه صاحب موهبة فنية لا سبيل إلى الشك فيها . موهبة العرض والتنسيق ورسم الملامح والشخصيات ، وإدارة الحوادث والمفاجآت ... فهي من هذه الناحية تستوفي صفات القصة الجيدة على وجه العموم .

ثم هي تحمل طابع مؤلفها بوضوح في نواحي النقص فيها ونواحي الكمال . فالمؤلف صاحب طريقة مطبوعة وأسلوب مرسوم . وهذا يقرر وجوده الفني في عالم القصة بلا جدال

يعمل المؤلف في جو متماوج مخلخل ، جو « الضباب والرماد »[1] فتمر الحوادث والشخصيات والملامح والانفعالات مراً متأرجحاً متماوجاً . وتبدو للعين كما تبدو المناظر وراء الضباب ... ليست هناك مواقف حاسمة ، ولا انفعالات صارمة ، ولا حركات عنيفة ، ولا ضجات توقظ الإحساس . وحينما تنتهي القصة تحس أنك في حاجة لأن تقرأها من جديد لتتثبت من ملامحها التي مرت من قبل مر السحاب ! وربما خطر لك أن تسأل ، ماذا يريد ؟ ثم تتوارى الشخصيات والحوادث لتجد في نفسك انفعالات غامضة متماوجة تثير القلق والتأرجح والاضطراب

(١) عنوان أقصوصة للمؤلف !

... يخيل إلىّ أن هذا هو كل غرض المؤلف من عمله الفنى – إن كان له غرض – : أن يثير القلق الغامض والتأرجح المضطرب ، وأن يغمز اليقين الهادئ ويطلق فى النفس الإنسانية عنصر الاضطراب ويسلبها الثقة والاطمئنان لأى شىء فى الحياة ! وما الحوادث والشخصيات إلا أدوات فقط للوصول عن طريقها إلى هذا الهدف الأخير

إنه – من وجهة نظر المذاهب الاجتماعية التى يدعو إليها – يعد ناجحاً إذا هو قد هز فى النفس الإنسانية عنصر الاستقرار ! فهو إذن من خيرة من يصلحون لهذه الدعوة ، لا بما يلقيه هنا وهناك من توجيهات ظاهرة ، ولا بما يغمز به النظام الاجتماعى والاقتصادى من غمزات موحية . ولكن – قبل ذلك كله – بما يطلقه فى النفس الإنسانية من التأرجح المضطرب الذى لا يقر على قرار !

* * *

« قال مليم

– بلا جدال ...

ثم حمل عدته وانطلق فى الطريق دون التفات ، وهو يضرب الأرض فى عزم وإصرار كأنه مقدم على فتح عكاء . أما رفيقه فقد وقف يشيعه بابتسامة ساخرة ؛ فلما أن صارمنه على مرمى حجر ، صاح فى إثره قائلاً :

– سنرى ...

وقهقه ضاحكاً ثم انكفأ إلى طريق غير الطريق »

* * *

« بلغ النقاش أقصاه بين خالد وأبيه كعادتهما كلما دار بينهما حديث – أى حديث – . ومهما يكن الموضوع تافهاً ، فإنه يتطور على الدوام إلى اصطدام عنيف بين الأب وابنه . أما الأب فداهية مراوغ يلذ له شعور القوة الذى يدفع بالقط إلى العبث بفريسته قبل التهامها ، فهو يطيل من النقاش ويدير دفته إلى وجوه من الرأى يعرف أن ابنه يضيق بها ذرعاً ، ثم يرقب فى سعادة أثيمة ما يختلج فى صدره من ثورة ، وما يلوح على وجهه من اضطراب وضيق

« وقد كان . فما لبث أن اربد محيّا الفتى ، فانفجر يرد على تساؤل أبيه قائلاً :

– بلا جدال ...

ثم انثنى إلى حجرة المكتب ، وأغلق من خلفه الباب ، ولو انتظر لرأى بسمة السعادة الأثيمة ترتسم على شفتى أحمد باشا خورشيد ، ولسمعه يتمتم قائلاً :

– سنرى »

* * *

هكذا يبدأ المؤلف قصته فيرسم – منذ الصفحة الأولى – الخطوط الأولى فى ملامح هذه الشخصيات الثلاثة التى هى محور القصة جميعاً : مليم ، خالد ، أحمد باشا خورشيد ؛ ويرسم لهذه الشخصيات الثلاثة طريقها كذلك – لا طابعها وحده – فمليم « ينطلق فى طريقه دون التفات وهو يضرب الأرض فى عزم وإصرار » تلك طريقته أيضاً فى جميع أدوار القصة ! وخالد « يربد محياه ثم ينفجر وهو يرد على أبيه ، ثم ينثنى إلى حجرة المكتب ويغلق من خلفه الباب » تلك أيضاً طريقته فى مستقبل الحياة : انفعال وانفجار ثم انزواء واعتزال ، واضطراب دائم بين هاتين الخطتين حتى ينتهى الصراع » . وخورشيد باشا « داهية مراوغ يلذ له شعور القوة الذى يدفع بالقط إلى العبث بفريسته قبل التهامها .. وهو يرقب فى سعادة أثيمة ما يختلج فى صدر ولده من ثورة وما يلوح على وجهه من اضطراب وضيق » تلك طبيعته وهذه طريقته فى القصة وفى الحياة !

هو استهلال بارع – كما ترى – وهى ريشة ملهمة تضع الخطوط الأولى فتشير إلى الخطوط الأخيرة ... وقد يبدو أن القصة لم تسر فى جميع مراحلها بهذه القوة وبهذا الوضوح ... فيجب أن نلتفت إلى أن القوة والوضوح ليسا من أهداف المؤلف ... وأن التموج والاضطراب هما قوام طبيعته وقوام طريقته . وقوام أهدافه المقصودة أو غير المقصودة ولكنها هى التى تتحقق على كل حال !

* * *

جعل المؤلف « مليم » هو بطل القصة وبه سمّاها . أما نحن فنرى أن « خالد » هو الشخصية الأولى فيها . فخالد شاب نشأ فى طبقة الأثرياء – ابن خورشيد باشا – ولكنه سافر إلى انجلترا وطاف بالبلاد الأوربية حيث كانت المذاهب الاجتماعية الحديثة ، تصطرع مع الأوضاع التقليدية القديمة . ثم عاد فوجد نفسه غريباً بين أهله ، غريباً كذلك فى مجتمعه . إن رأسه محشو بالنظريات الحديثة وإنه لمتحمس لها كل الحماسة . ولكنه لم يكن

ذا طبيعة عملية ، تنفذ فى عالم الواقع ما يجيش فى نفسه من نزعات . كان خليطاً عجيباً من رجل الواقع ورجل الخيال . كانت تصطرع فى نفسه وراثات مختلفة وتيارات متعارضة . كان صوفياً وشهوانياً . كانت نفسه حلبة صراع بين شتى الاتجاهات . « ولو أتيح لأحد أن يكشف عن رأسه لوجد فيها حجرتين إحداهما يتربع فيها القرن العشرون بآلاته ومعادلاته . والثانية يمرح فيها القرن الثامن عشر وسط غابة يخترقها جدول » كما يقول مؤلفه

تصطدم هذه الشخصية المخلخلة المضطربة الثائرة الحائرة بشخصية خورشيد باشا القاسية الجانية الماكرة اللئيمة . ذلك الرجل الذى يجد طعم اللذة الأثيمة وهو يحاور ابنه الطيب القليل الحيلة ويداوره حتى يشعره بالألم والضيق . والذى يتهمه المؤلف بأنه قاتل أبيه ليرثه . وبأنه يشعر بسعادة أثيمة وهو يؤذى فلاحيه ويطلق عليهم كلبه ليعقرهم ... الخ، إنه نموذج لتلك الطبقة الأنانية الجشعة « التى تسرق أموال الفقراء ! » والتى أفلح المؤلف فى أن نمقتها كل المقت ونزدريها كل الازدراء

يصطدم خالد بأبيه انتصاراً لمليم (صبى النجار) المتهم من الباشا بالسرقة جزاء أمانته ، وهنا نجد جميع القوى مجندة فى صف المـال . وما إجراءات العدالة إلا مظاهر جوفاء كمراسيم التضحية بالفريسة فى مجتمع متوحش . ويسلم مليم للسجن جزاء أمانته ! ! !

أما مليم فمهمته الحقيقية فى القصة أنه محورها الفنى .. لقد فهمنا أن المؤلف يريد أن يرمز به إلى « رجل الشارع » ذى الفضائل الفطرية والطبيعة المستقيمة والعزيمة العملية ... ولـكننا فوجئنا وهو ينحرف به فى منتصف القصة فيكلفه القيام بعمل لا يقوم به « الرجل الشريف » ثم يجعله فى نهايتها أحد أغنياء الحرب المعروفين !

ترى أفلت الزمام من يد المؤلف ؟ أم هى طبيعته طبيعة العتاب والرماد ؟ ! هنا تستوى الغلطة والاصابة فى الدلالة على طبيعة المؤلف وطريقته !

* * *

وفى القصة غير هذه الشخصيات الرئيسية الثلاثة شخصيات أصيلة هى الأخرى . أطلق عليها اسم « جماعة القلمة » أولئك جماعة من الحـالمين المنحلين . يصنعون كل شىء فى أحلامهم الممتزجة بدخان النرجيلة ! إنهم ينشئون مجتمعاً جديداً مطلقاً من جميع القيود والتقاليد ، ولـكن « فى المنام » ! هذه الجماعة تمثل حيرة فريق من شباب الجيل فى مفرق الطريق !

وهنا يجتمع خالد ومليم ، فيقوم مليم بعمله الذى لا يقوم به « الرجل الشريف ! » يحتال على الرجال باسم « هانيا » الفتاة إحدى شخصيات جماعة القلمة !

ويقوم خالد بدور من أدواره كذلك . حتى إذا انتهت القصة وجدنا هـذه الجماعة المنحلة الحالمة وقد تفرق شملها ولم تصنع شيئاً . ووجدنا « خالد » يعود إلى طبقته ومجتمعه وقد انحلت نفسه وفرغت طاقتها وسقط صريعاً فى حومة الصراع الذى دار فى داخل شخصيته أعواماً . ووجدنا « مليم » وقد أصبح من أغنياء الحرب ... ثم وجدنا الحوادث والشخصيات كلها تتوارى ليسأل كل منا نفسه : ماذا أراد ؟ وماذا كان يريد ؟ وقبل أن يسأل الجواب على سؤاله يجد نفسه تتأجج وتتماوج فى هذا الضباب الذى أطلقه المؤلف ، وكأنما يطلقه بغير تدبير !!!

* * *

فى أحلام « جماعة القلمة » ، وفى تصرفات خالد ومليم . وفى حوادث القصة نزوات وفلتات خلقية وجنسية ، أخشى أن تـكون جميعها وحى مزاج منحرف شاذ !

مقياس الجماعة لصلاحية الفرد للجيل الجديد ، ألا يجـد غضاضة فى معـاشرة أخته معاشرة الأزواج ! ذلك هو الدليل الذى لا يخطىء على أنه طليق من جميع التقاليد !

أحد أفراد الجمـاعة ينظر إلى مليم بإعجاب ويقول : إنه « زَوْجُنا » جميعاً !

خالد يتحسر — بعد وفاة أمه — على أنه لم يوقظها بقبلاته كل صباح كأنها « زوج » له !

مليم يعثر على لفافة فى بيت خورشيد باشا وهو يصلح النافذة ، فيعطيها لخالد . فيتوقع خالد أن تكون غرامية تخص والدته الحاجة . ويبتهج لهذا الخاطر ويستريح !

بنت عمة خالد أنثى تتهالك عليه فى أوضاع مخجلة عارمة البهيمية . لهذا ولأمثاله دلالته . ولعل هذه الدلالة كانت أهم الاعتبارات التى منعت لجنة المجمع من منح الجائزة للقصة . واللجنة محقة — لا من الوجهة الفنية — ولـكن من وجهة أن مثل هذه الاتجاهات مما يجب أن يلقى به صاحبه رأساً إلى الجو الأدبى الطليق فيرى فيه رأيه بحرية . لا مما تحتمل اللجان الرسمية تبعة تقديمه إلى القراء .

أما الـكلام فى المقدمة فموعدنا به قريب .

سيد قطب

القضايا الكبرى في الاسلام

١١ – قضية المؤامرة على المهاجرين

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة ، فلقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، وحاربهم حتى هزمهم وقتل من قتل منهم ، وبينا هو على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار ، يقال له جهجاه ابن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين . فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال : دعوها فإنها منتنة

وقد وقف الخصام بين الرجلين عند هذا الحد ، ولكن عبد الله بن أبي بن سلول أراد أن يتذرع بذلك إلى إحداث فتنة بين الجيش ، وتأليب الأنصار على المهاجرين بعد أن ألف الإسلام بينهم ، وجعل منهم أمة واحدة لا أثر فيها لعصبية من عصبيات القبائل العربية ، فجمع عبد الله رهطاً من قومه ، وكان فيهم غلام حدث يقال له زيد بن أرقم ، فقال لهم : أوَقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول : سمِّن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم

فذهب زيد بن أرقم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذه المؤامرة ، فقال له : لعلك أخطأ سمعك ، لعلك شبه عليك . فأصر على شهادته ولم يرجع عنها ، وما أظن إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض له بالرجوع عن شهادته ، حتى لا يمضي في تحقيق هذه القضية الشائكة ، لما كان لعبد الله من المنزلة بين قومه ، وقد كان الإغضاء عنه وعن غيره من المنافقين مما يقضي به حسن السياسة في أول الإسلام ، لأنه كان ضعيفاً لا يحتمل الفتن ، فكان من حسن السياسة أن يسالم أولئك المنافقين الذين يسالمونه في الظاهر ، وأن يتحمل مثل ذلك منهم ، إرضاء لمن حسن إسلامه من قومهم ، واحتقاراً لأمر أولئك المنافقين ، لأنهم كانوا يقولون ما لا يفعلون ، وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك من زيد بن أرقم : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه

ثم أرسل إلى عبد الله وأصحابه ليسألهم عن تلك المؤامرة التي أخبره بها زيد بن أرقم ، لأنه لم يجد بعد إصراره على شهادته إلا أن يمضي في تحقيق ما نسبه إليهم ، حتى تأخذ قضيته حظها من التحقيق ، ولا يهمل أمرها ، فيطمعهم ذلك في المضي في مؤامراتهم

فلما حضروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخذهم ضعف النفاق ، فأنكروا ما نسبه إليهم زيد بن أرقم ، وحلفوا ما قالوا شيئاً مما نسبه إليهم ، فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم حقيقة أمرهم ، وكذب زيد بن أرقم وهو يعلم صدقه وإخلاصه ، ولكن المصلحة العامة قضت بأن يكتفي منهم بذلك ، فأهملت قضيتهم خوفاً من إحداث الفرقة بين المسلمين . وما كان للنبي أن يؤثر أمراً من الأمور على أمر الوحدة بينهم ، وقد كان عبد الله في قومه شريفاً عظيما ، فلما حلف بالله ما قال شيئاً مما نسبه إليه زيد بن أرقم ، قال من كان بالمجلس من الأنصار : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . فأظهروا بذلك حدباً على عبد الله ، وعطفاً عليه ودفعاً عنه ، وإهمال هذه القضية بهذا الشكل هو ما يسمى حفظ القضية في القضاء الحديث .

ثم بادر النبي صلى الله عليه وسلم فأذن بالرحيل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ، فلما ارتحل لقيه أسيد بن حضير فحياه

فرقة التمثيل

للأستاذ زكي طليمات
المدير الفني للفرقة المصرية سابقاً

يسرني أن يتجه الجدل بيني وبين الأستاذ حبيب الزحلاوي إلى ما يفيد منه القارىء ويملي جانب الحق .

في مقاله الأخير ، تحت هذا العنوان ، يزعم السيد الزحلاوي أنه مثالي في نظرته إلى أعمال الفرقة المصرية ، ولهذا كتب ما سبق أن كتب . وهذا الزعم إنما هو بادرة شعورية من جانبه لخلجة لاشعورية في خبيئته الباطنة ، أقامها عقله الواعي تبريراً لما حاوله من تجريح أراده بي فلم يفلح .

بيد أن المثالية الحقة العادلة في مهمة فرقة للتمثيل إنما تستمد عناصرها مما هو عليه المزاج السائد والمستوى الثقافي العام في البلد الذي تعمل فيه هذه الفرقة . فما هو مثالي في مهمة فرقة تعمل في لندن وباريس لا يمكن أن يكون كذلك من جانب فرقة تعمل بين القاهرة وجرجا وكفر الشيخ . أقرر هذا باعتبار أن دور التمثيل للجمهور أولاً وأخيراً . فإن لم يقبل عليها فلا فائدة من قيامها ، وأن فن التمثيل ثقافة اختيارية لا إجبارية ، وأن السواد الأكبر من المسرحيات التي تقدم يجب أن تكون في متناول فهم واستساغة السواد الأعظم من الجمهور .

ولا أتدخل في هذا الصدد في (المثالية المطلقة) لأن تحقيقها فيما نحن فيه يقف جامداً عند حد القولة الفرنسية (Vouloir n'est pas pouvoir) ومفادها شتان ما الازماع والإنجاز ! !

فمثالية المسرح المصري في الوقت الحاضر — والأسف لا يحسه سواي — لا يمكن أن يكون أكثر من الأخذ بالتوسط والاعتدال بين ما يجب أن يقدم وما يمكن أن يقدم من المسرحيات بحيث يكفل ما يقدم في مجموعه إقبال الجمهور على دور التمثيل ، هذا الإقبال الذي يبرر وحده قيام هذه الدور وفتح أبوابها .

عرفنا هذه المثالية على ضوء التجارب ، وليس على هدى النظر ، وأخذنا بها على أحسن وجه ، وأشرنا إليها في البيان الذي تصدرت به برامج مسرحيات الفرقة في كل عام ، فقد جاء فيها بالحرف الواحد « ورسالة الفرقة وهي أدبية وفنية تهدف

بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة مبكرة ما كنت تروح في مثلها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً

وإن في هذا لدليلاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أهمل هذه القضية وهو يعلم صحة تلك المؤامرة ، ولكن زيد بن أرقم أصابه من ذلك هم لم يصب مثله قط ، فجلس في بيته لا يظهر لأحد ، ومكث مختفياً عن الناس حتى أنزل الله في شأنه – إذا جاءك المنافقون – الآيات إلى قوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ، يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى زيد بن أرقم فقرأها عليه ، ثم قال له : إن الله قد صدقك . ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشأ بعد هذا أن يثير تلك القضية ، وآثر أن يمضي في إهمالها . وقد قالوا إن في هذه القصة من الفوائد ترك مؤاخذة كبراء القوم بالهفوات لئلا ينفر أتباعهم ، والاقتصار على معاتبتهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم وإن كانت القرائن ترشد إلى خلاف ذلك ، لما في ذلك من التأنيس والتأليف

وإني أرى أن ما حصل من أولئك المنافقين لا عقاب عليه في الدنيا ، لأنهم تآمروا على شيء وبلغ عنهم قبل أن يشرعوا فيه ، ولا مؤاخذة على مثل هذا في كثير من الشرائع القديمة والحديثة ، وإنما تؤاخذ الشرائع بعد المضي في الفعل ، واقتراف الجرم ، رأفة بالناس ورحمة بهم ، وجمعا بين الشدة واللين ، والعقاب والعفو ، لأن أمر الناس لا يصلح بالشدة الخالصة ، كما لا يصلح باللين الخالص ، وفي أخذهم بالعزم على الجرم قبل اقترافه قسوة يأباها العقل ، وقد عفا الله عن الهم بالسيئة ، وجعل لمن هم بها ولم يفعلها حسنة .

عبد المتعال الصعيدي

إلى المستوى الرفيع في الأدب ولكن من غير تعال على مايستسيغه الخاصة من الجمهور ، ومن غير إسفاف إلى مجاراة العامة ، وهي رسالة سامية بأغراضها متواضعة بوسائل تحقيقها » .

وإخراجنا (شهر زاد) و (يوم القيامة) ، كل واحدة في بداية كل عام فحسب ، يحقق القسم الثاني من رسالة الفرقة وهي الموسيقى باعتبار أنها « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى » فلا لوم ولا تثريب علينا .

وفوق هذا فليس في هاتين المسرحيتين الغنائيتين ما يخرج على شرعة النوع الذي ينتميان إليه وهو « الأوبريت » وإن كنت آسف على شيء في إخراجهما على المسرح فلأنه لم يتيسر لي عناصر الرقص الاجتماعي Ballet الذي هو ركن رئيسي في هذا النوع من المسرحيات .

ومن التعسف والحيف أن نطالب هـذا النوع بمعالجة مشكلات المجتمع ، والكشف عن حنايا النفس البشرية بالتحليل النفسي الدقيق ، وأن تنبسط أطرافه إلى الفلسفة والأخلاقيات واللاهوت .

ومسرحيات « كلنا كده » و « سلك مقطوع » و « قطر الندى » و « شارع البهلوان » ليس في تقديمها ضير ولا إفساد ولا انحراف عما يجب أن تكون عليه المسرحية الناجحة ، لأنها كلها فكاهيات ظاهرها هزل وباطنها جد ، تخفي كل واحدة منها وراء مظاهرها المرحة موضـــوعاً له أثره في التبصير والتقويم الخلقي . فمسرحية « كلنا كده » توحي بأن الحياة للخطأ والتوبة . والثانية تلوح بأن التمادي في توخي القصاص من جانب المرأة للرجل فيه مدعاة إلى تعقيد الأمور والتردي في أخطاء أخرى . والثالثة تقرر أن الجريمة إلى قصاص وأن الشر لا يكون طريقاً إلى خير . والرابعة ، على إغراقها في الهزل ، إنمـا هي سخرية من الغيرة العمياء . مسرحيات باسمة تثير الضحك في وقت عز فيه الابتسام بفعل ضائقة الحرب

وكلها للردع وللايحاء بما يجب أن تـكون عليه جوانب من الحياة ليسعد الناس ويستريح القاضي . فأين في هذه المسرحيات ما يشين ؟ ومن أين جاء للسيد الزحلاوي أنني اعترفت بأنها مشينة ومقالي السابق بين يدي القراء[1] ؟ ؟

أما مثالية الأستاذ الزحلاوي ، ومفادها « أن تكون الفرقة مائة في المائة للمسرحيات الرفيعة ، ولا يهم أن يحضرها الجمهور أو لا يحضر » فأقول عنها إنها ضرب من الاجتلاب شف عما وراءه ، ولون من التعالم النظري ، ومحاولة للسطوع واللمعان من ضوء غيره .

وأعجب مما تقدم أن يبرر الأستاذ مطالبته بهذه المثالية بزعم أن الفرقة المصرية « حكومية بكل معاني الحكومية » ! وكأن الحكومية في روعه مدعاة إلى أن تغير الأشياء من طبائعها وتبدل من عناصرها وتتردى في مهاوي الفشل والخيبة لخروجها على محاور ذاتيتها ، فتكون الفرقة هيئة لا يحسها إلا القمندوز ولا يأبه لها إلا الخالمون ، تعيش على هامش الحياة كالتكايا وملاجي العميان . . .

« وحكومية » الفرقة ، وهم من أوهام الأستاذ الزحلاوي: لأنه من أولى مستلزمات هذه « الحكومية » أن تدفع الحكومة أجور الممثلين وكافة مصاريف الفرقة ، وهـذا غير ما هو واقع في الفرقة ، وقد سبق أن قررت أن الفرقة هيئة تشملها رعاية الحكومة كما تشمل هيئات أخرى تمدها بالإعانة ، وأن الإعانة التي تدفعها لا تفي بأجور الممثلين فحسب .

-لندع الأوهام ولنواجه الحقائق . . إن مسرحنا المصري كائن كما يستحق كل مصري أن يكون ، وكما نكون نحن يكون مسرحنا . ونحن نستطيع أن نقدم مسرحيات لشاكسبير وموليير وديماس الابن وأوسكار وايلد وإيلي برونتي إلى جانب فكاهيات ومحاولات من وضع أقلام مصرية لم يصل إلينا خير منها ، نقدمها على مضض لتغري الجمهور على غشيان مسرحنا وتذوق مسرحيات من ذكرت من صفوة المؤلفين العالميين ، ونحن فيما نفعل نرقص على إيقاع الزمان ونصدر عن مثالية المسرح في بلد لا أود أن أذكر النسبة المئوية في متعلميه . فإذا كانت هذه الحال تمض السيد الزحلاوي حقاً فليجرد قلمه على الجمهور يوجهه ويستحثه على مشاهدة النفيس من المسرحيات ، فهذا أجدى به ، وبنا أبر وأكرم . أما أن يوبس الثرى بيننا وبينه مسوقاً بنطحات عاطفية وشطحات شخصية لا ترتكز على الروية والاعتبار فأمر أرجو أن يعاود النظر فيه .

زكي طليمات

(١) الرسالة ٩٨٥ ص ٢٠٠٨ السطر ٢٢ بالعمود الثاني ، وهذا نص ما أوردته وصفاً لجانب هـذه المسرحيات (ذلك الجانب الذي لا يؤاخذ عليه إلا صاحب التجني والهوى) .

أيتها الابتسامة!

للأستاذ محمود الخفيف

أتوقاك ما رأيتك جهدى   وأعاف الوضىء من لمحاتك
مثل لمح السراب لمحك عندى
ليس غير السراب أصل صفاتك

أتوقاك، لا أسيغك ... إنى
من سقاه العذاب لمح السراب
أبدًا فيك ليس يخطئ ظنى
بل يزيد اليقين فيك ارتيابى

أتوقاك! كم سحرت خيالى
بأفانين من بروق الخداع
يوم كان الفؤاد غر الليالى   لم تذقه الحياة لؤم الطباع

أى معنى للخير أطمع فيه   من معانيك فى وجوه الرجال؟
أى طيف للسحر لا أتقيه   فى وجوه تزهى بسحر الجمال؟

صور أنت من ضلال الحياة   وطيوف بغيضة أتقيها
عفت حتى ماحار من بسماتى   بين سحب من الأسى تحتويها

أتوقاك ... كم لمحت طلاء   يحجب الإفك فى حنايا الضلوع
يحمل الحقد ما يريد انطفاء   والعداوات مالها من هجوع

أتوقاك صورة للتشفى   سوأة ميزت سليل التراب
أى وصف لهذه أى طيف   غير ظفر تحت الطلاء وناب؟!

أتوقى مرآك فى وجه حر   باسم وهو لا يطيق ابتساما
وجه غر ما كان يومًا بغر   غير أن الرشاد أن يتعامى!

أتوقاك فى محيا دعى   فى ابتساماته أرى الخيلاء
يتبدى يا ويحه من غبى   فى عبوس وفى ابتسام سواء

وكريه مرآك بسمة ذل   فى وجوه ذليلة القسمات
تتقى عصف كل عات مدل   بكلام من ضارع البسمات!

وشجى للنفوس مرآك معنى   من معانى مغالب لهوان
حطه الدهر ما ارتدى بك لونًا   من تأس يشف عما يعانى

أتوقاك آية للوفاء   ركبت من تملق ودهان
يا ازدلفى فى صورة نكراء   ذكرتنى ضآلة الإنسان

جمرة فى الحشا ورشقة سهم   فى صميم الفؤاد مرآك حينا
إذ يرى العاشقون فى غير وهم   أن هجس الظنون أمسى يقينا
إذ يرون الخداع أبغض ومضا
من شعاعات خنجر مشهور
هو من حده أحز وأمضى
إن أنكى الجراح جرح الشعور

أتوقاك ما لمحت لعينى
لمحة الكأس ضوأت بالسلاف
رب كأس يغلو إليها التمنى   مزجت خمرها بسم زعاف

أتوقاك! ... شد ما أتوقى   صورًا منك عف عنها بيانى
إن يكن عافها حياء ورفقا   رب صمت حوى بليغ المعانى

أين ياقلب؟ أين تبصر عينى   بسمة لا يكون منها عنائى
ويك ياقلب قد سئمت التمنى   وأرانى كرهت فقد الرجاء!

قد أحب ابتسامة الطفل لولا   خاطر ساء وقعه فى خيالى
لن تراه الغداة عيناى طفلا   إن فيه الغداة لؤم الرجال

وأسيغ ابتسامة الزهر لولا   سوء مرآه ذابلا فى المساء
ويح نفسى كم علا النفس هولا   كل حسن تطويه كف الفناء

في سبيل العرب

سيف العروبة

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

سيف العروبة في كفيك منصلت
فاضرب به في رقاب الحادث الجلل
فأين منه سيوف الهند ماضية؟ فللعروبة سيف غير منخذل
وشته أيدي القيون الصيد من مضر
وجلته يد الأبطال بالحلل
نمته للبيض من عدنان آصرة وأنبتته مع الخطية الذبل
سل الوقائع عما كان من أجل في صفحتيه وعما كان من عمل
تديره كف غلابين عمزهو
في ضربة السيف أوفى طعنة الأسل
لا يسكتون على ضيم يراد بهم ولا تقر لهم قلب على دخل
يجيب كل فتى منهم مسائله بالسيف لا بعبارات ولا جمل
من كل حر عزيز النفس ممتنع
كالشمس ممنوعة إلا على المقل

سيف من الجبل العالي بذروته المستطيل على القمات والقلل
يهدى إلى السهل من مصر ولا عجب
ما قيمة السهل إلا في ذرا الجبل؟
لبنان لم يلق هذا السيف عن وهن
من الضراب ولا خوف ولا وجل
لكن لبنان أهداه إلى بطل[1]
(لا يعمل السيف إلا في يدي بطل)

يا سيف عدنان لا يرجى لطائفة
شأن بغير حديد النصل معتدل
ما قيمة الحق إن لم يحم جانبه
صوت الأسنة لا صوت من الجدل
قل للضعيف بلا سيف يؤيده أما سمعت حديث الذئب والحمل؟
يا أمة العرب هبوا من مراقدكم
ولا تكونوا عن الأحداث في شغل
ضموا الصفوف بقلب غير منقسم
على الزمان وحبل غير منفصل
ولا يكن ود كم يوماً على خبث ولا يكن حبكم يوماً على دخل
قد وحدت بينكم دنيا موزعة من الجراحات والآلام والعلل
يا قوم إن سبيل الخلد واحدة
فيم الخلاف على الغايات والسبل؟
لا يؤكل الشرق إلا وهو منعزل
وليس يرهب إلا غير منعزل

محمد عبد الغني حسن

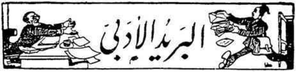
(١) جلالة الملك فاروق الأول

أبهجتني ابتسامة الأم طفلاً وهي أنسي وبهجتي في شبابي
آه! من لي الغداة يا قلب ألا يملأ القلب ذكرها بالعذاب؟

ليس غير ابتسامة الفجر فارقب
طلعة الفجر إذ يشق الظلاما
ومن الليل روعة البدر فاطلب
وجهه إذ يزيح عنه اللثاما

من بني آدم اشمأز فؤادي وابتساماتهم عذاب لنفسي
كل يوم كرهي لهم في ازدياد
ليت لي في غد سذاجة أمسي

الخفيف



الكشف الأثري في منطقة حلوان

زار صاحب الجلالة الملك منذ سنتين المنطقة الصحراوية الواقعة جنوبي حلوان ، فأدرك قيمتها الأثرية وتوقع جلالته أن يعثر الباحثون فيها على آثار ذات شأن ، فأصدر أمره الكريم بمزاولة الحفر فيها على نفقته الخاصة ، وتفضل فعهد بذلك إلى الأستاذ زكي يوسف سعد كبير مفتشي الآثار في منطقتي القاهرة والجيزة ، فبدأ العمل في يوليو سنة ١٩٤٢ ولم يكد ينتهي موسم الحفر في تلك السنة حتى كشف عن ٧٣٥ مقبرة يرجع عهدها إلى الأسرة الأولى (٣٢٠٠ قبل الميلاد) وفي عام ١٩٤٣ كشف عن ١٢٦٦ مقبرة ، ولا يزال يتابع الحفر والكشف ، والمأمول أن يصل إلى نتائج عظيمة . وقد دل المكشوف منها على حقائق تاريخية هامة أشار اليها أحد أساتذة الآثار البريطانيين في جريدة الصنداي تيمس قال : « إن لهذا الكشف مزية خاصة لمن يريد دراسة تاريخ العصور الأولى في مصر ؛ وذلك لما له من أهمية تاريخية لا تتوفر دائماً في الآثار العظيمة الأخرى كالتي وجدت في مقبرة توت عنخ آمون ، لأن هـذه المقبرة لم تلق أي ضوء على أمر جديد ، بل أيدت ما كان معلوماً من قبل عن طريق الاستنتاج ، كما أنها أمدت المتحف بقطع ثمينة ، في حين أن هذا الكشف الجديد يرجع بنا إلى عصر من أقدم العصور ، وقد يجلو للعلماء الذين لم تتوفر لديهم البيانات ما يعينهم على الوصول إلى ما يبتغونه من النتائج .

وثمة أمر آخر وهو أن في هذا الكشف ما يثبت قيام أسرة ملكية قبل عهد الأسرة الأولى .

إنا لنعلم أنه كان هناك ملوك حكموا مصر قبل عهد الأسرة الأولى ، وأن الحفائر التي قام بها العلامة اعري مدة عشر سنوات قبل عام ١٩٣٩ قد برهنت على أن الأدوات المصنوعة من الأحجار والتي ترجع إلى عهد الأسرة الأولى هي أبعد في القدم مما كنا نظن؛ ولكن هذه الآثار الحديثة التي كشف عنها الأستاذ زكي يوسف ، قد أظهرت حقائق جديدة مدهشة عن عصور أشـد قدماً . على أنه ينبـغي أن ننتظر ما ينشر عن هذه الاستكشافات ، قبل أن نبدي فيها رأياً » .

وقال الدكتور دربتون مدير مصلحة الآثار المصرية :

« إن هذا الكشف ذو أهمية كبيرة من الناحية التاريخية فضلاً عن أنه عنصر جديد لتاريخ المصاطب القديمة التي يرجع تاريخها الى عهد الأسرتين الأولى والثانية ؛ وهذا ما يدعو إلى إعادة بحث تاريخ المصاطب الأثرية من جديد » .

عرب ومسلمون

حضرت المهرجان الذي أقامته مراقبة النشاط المدرسي ، وأشهد أنه دل على تقدم عظيم في حياتنا المدرسية في النواحي الفنية والرياضية والاجتماعية ، ولهذا تفصيل ستتحدث عنه الجرائد في الغد ، فأنا أكتب هذه الكلمة بعد الإنصراف من المهرجان .

أنا أدوّن ملاحظة لن تدونها الجرائد ، ملاحظة تلخصها السطور الآتية :

مثّل طلبة المدرسة الإبراهيمية رواية عمرو بن العاص ، وفي الرواية أن قسيساً قبطيـاً عَرَض على اثنين من قواد الروم أن يجتمعوا بالدير القبطي إذا دهمهم العرب الفاتحون ، وأن القائدين قالا : وماذا نصنع إذا أخذنا العرب من الدير ؟ فقـال القسيس : العرب يحترمون المعابد .

والخطأ هنا في كلمة « عرب » ، والصواب أن يضع المؤلف كلمة « مسلمين » ، فهي الكلمة التي يعرفها تاريخ ذلك العهد ، فمصر فُتِحت باسم الإسلام لا باسم العرب .

وفي الرواية أن فلاحاً مصريًّا أحضر الضريبة للروم وفيها خمر ، ثم كان من حظه أن يلقى عمرو بن العاص ، فقال له عمرو : نحن العربَ لا نشرب الخمر .

والخطأ في كلمة « عرب » ، فالعرب كانوا يشربون الخمر ، والصواب أن يقول المؤلف « نحن المسلمين لا نشرب الخمر » ، لأن الذي حرّم الخمر هو الاسلام .

وأذّن المؤذن فاذا هو يصيح :

« الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، حيّ على الصلاة ، حي على الصلاة » .

وأنا أتذكر جيداً أن الأذان فيه « أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله » .

فأين ذهبت هذه الشهادة ؟ أين ذهبت ؟

إن الرواية تاريخية ، فيجب حتماً أن يراعى فيها الصدق في رواية التاريخ .

أنا عاتب على المؤلف وعلى المخرج وعلى المراقب ، فما يجوز بتر الأذان بهذه الصورة ، ولا يجوز أن نضع كلمة عرب في مكان كلمة مسلمين ، لأن في هذا تزييفاً للحق والتاريخ .

لم يبق إلا الثناء على الممثلين ، وهم طلبة نجباء سيكون لهم بإذن الله مستقبل مرموق .

زكي مبارك

الجبال الجرداء وكيف تعشب

جاء في كتاب « في منزل الوحي » صحيفة ٢٩٨ لصاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا ما يلي :

« وعجيب أن تظل هذه الجبال جرداء على رغم ما يتحط عليها من سيول وأمطار فلا تنبت الأشجار في قننهـا وعلى سفوحها . أيرجع السر في ذلك إلى أنه لم يعن أحد باستنبات هذه القنن والسفوح فظلت جرداء إذ لم تبذر فيها بذور ولم يغرس بها شجر . ما أظن ، ففي صحاري تهامة وأوديتها ألوان من الشجر تنبت بذاتها منها السلم والعشر والطلح ، ولعل هذه الالوان لا ترقى إلى سفوح الجبال وقننها ، ولذلك ظلت جبال اليمانية جرداء رغم المياه التي تنحدر عنها » .

والحقيقة أن لا عجب هناك ، فالحيوانات التي ترعى وخصوصاً الماعز منها هي السبب في هذا كله ، فاذا دامت الحيوانات في هذا الرعي سنين عديدة فأنها لا تلبث أن تقضم كل طلق من النبات يظهر على وجه الأرض . والنبات من شأنه أن يحفظ التربة من أن تجرف إلى الوادي بسبب تهاطل الأمطار فلا تلبث أن تتكشف الصور وأن ينقل التراب الذي يغطيها إلى الوادي ولا يعود بعد ذلك بالأمكان أن ينبت الشجر لا في القنن ولا في السفوح . وعندنا في فلسطين مثل هذه الجبال الجرداء ، والسبب واحد وانجراف التربة Soil Erosion معضلة من أكبر المعضلات في الزراعة ، والحكومات تعنى بهذا كثيراً وطرق العلاج عديدة منها « الدورة في الرعي » كأن تقسم المراعي إلى أقسام عديدة يسمح للحيوانات أن ترعى في قسم منها في السنة الأولى ثم تنقل إلى القسم الثاني في السنة الثانية وهكذا فما ترجع الحيوانات للرعي في القسم الاول بعد خمس أو ست سنين إلا ويكون القسم الاول قد أينع نباته وغلظ وتعاظم .

وقد زرت في هذه السنة هذه الجبال الواقعة بين السيل الكبير والزيمه ، وأرى أن أحسن علاج لها هي الدورة في الرعي ، فإذا اتبعت هذه الطريقة في تلك المساحات الشاسعة وحوفظ عليها من الحيوانات فلا تلبث البذور أن تنتشر وأن تتكاثر من نفسها . ولا بأس من استعجال ذلك بأن تنثر البذور باليد في المساحات التي لم يبق فيها من الاشجار ما تستطيع أن تنثر بذورها .

لواء غزة — فلسطين

صبحي الشرابي
كبير مفتشي الزراعة

أساطير الحب والجمال عند الاغريق

عزيزي الأستاذ دريني خشبة

أخرجت للناس باكورة كتبك فكنت راوياً لروايات إغريقية عاشت عصوراً وهي أملوحة الآداب ، وتحلية الإطراب ، وألهية الفكر ، فقراؤك نظارة ، وصفحاتك مشاهد ، وفي آخر كل قصة من قصصك يسدل الستار .

وشئت أن تطرف ببراعة استهلال ، فقدمت بين أيدي القراء أروع هاتيك القصص عن بسيشيه وإله الحب ، فإذا بك تعرض ڤينوس أم هـذا الإله الطفل في معارض الحسد الذي ما سلمت منه امرأة ، وفي دواهي الكيد وهو ألصق الصفات بالنساء .

فڤينوس تنصب شباكها لبسيشيه ، فهي تغار منها وتحسدها على عرش الجمال ، فترسل إليها ابنها بقوسه ونشّابه ليرميها في جحيم الهوى ، وبسيشيه فتاة لعوب غريرة الدلال ، أصدق حليتها السذاجة والتصديق . فؤادها ما شُق شغافه ولا خفقت بالهوى سويداؤه . فهي تخاف من الحب ، والخوف منه هو الوقوع فيه .

أما كوبيدون هذا الرب الصغير ، فقد جار الإغريق من قبلك عليه ، فحمّلوه الشطط وركبوا به على غوارب الظلم وهو طفل ما شب عن الطوق ، ولا انشق له ناب ، ولا ترك التسلي واللّعاب . فأنى له الحب وعذابه ، والغرام ولظاه . وقد أبه لهذا الخطل في الفن مصورو القرون الأخيرة فكان دولاكروا أسبقهم إلى الصواب فصور كوبيدون في صورة شاب مراهق وهو يقبل بسيشيه من على الجبين . وإني لأعجب ، كيف جاز في الشجون أن يهوى بسيشيه كوبيدون . فهل يحب نفسه الحب كما يُجن الجنون .

وخلبتْني بأسطورة نرجس وقد عشق جماله وهام على وجهه في حب محاسنه ، فكان يطل على صفحة الينبوع وهو ظامئ ، فيشغله الغرام عن الأوام فيهوى بفمه على فمه . ولكن يتكسر الماء دون الارتواء . ولما مات طلعت مكانه على ضفاف الغدير زهرة النرجس فهي تطل أبداً على صفحة الماء ، تتمرّى عليه ، وتهفو إليه .

وتقلني النرجس من هيامه بجماله ، إلى هيام بجماليون بتمثاله . فيا لله إبداعك وأنت تصف بجماليون الحيران في مصنع تماثيله ينقش بمنقاشه تمثال غالاتيا ، فيسكب عليه كل مفاتن فينوس . وكان قلمك كمنقاشه فجمعت كل حلاوات المرأة ، ثم وزعتها واحدة فواحدة على جوارح غالاتيا وقسماتها الحسان .

وشغف تمثالُ الرخام حباً بجماليون فمر بيديه اللامستين على مرمره البارد المسنون ، وما راعه إلا حرارة الحياة تدب فيه ، فإذا هو من لحم ودم وإذا غالاتيا تناجيه فيه بصوت فينوس .

وقد أولع رواة الأساطير بهذه القصة فافتنّوا في سردها الفنون حتى كان براعك فسلك هذا المهيع الجميل .

ولا آتي على أساطيرك كلها ، فهي زهرات مغريات تكفي واحدة منها أن تملأ شمّي بعطورها القبرصية حيناً من الدهر ألقي فيه عن كتفي عبء الهموم . والأساطير يا صديقي منحة أدب غالٍ . قد ابتكرتها الأمم القديمة لترفع الإنسان الفاني من حمأة الأرض إلى ملكوت السماء . ولم يك الأولمب عند الإغريق إلا سُلّماً عُلويّاً لأولئك الآلهة الذين أحبوا وأبغضوا ، وناحوا وضحكوا ، وسلاهم عن كآبة الفناء أن كتب لهم الخلود ، فذاقوا الحب الذي هو أقوى من الموت كما تقول التوراة . ولكنهم ما دنسوه بالمفاسد بل كان محور حياتهم : انزعْ الحب منهم تفرغْ الأساطير من الجمال ، وتصبحْ صحراءَ سبسباً في لوافح الهجير . ونحن على الأرض مُنحنا حباً ولكن ما عرفنا حلاوته ، ولا وعينا نبالته ، ولقد دنسناه ثم دسناه .

كذلك رفعتني أساطيرك من هذا العالم حين قرأتها . ولا تعجبْ لأمري ، فقد تمنيت لو كنت أحدها ، لا إلهاً فأسمو إلى مقام الأرباب وعروشها ، ولكنْ إنساناً أعيش في أكناف الأولمب كسادن في هيكل الفنون . وما رواية حياتنا يا صديقي بعد ألف عام إلا أسطورة كهذه الأساطير .

ثم هات حديث الأدب عنها ، فقد أفادت فنون الغربيين فزجوها في شعرهم ونثرهم ، وحكمتهم وعظاتهم . فكانت فينوس ريحانة الشعور ، ومينرفا لسان الحكمة . وصوّرها المصورون ، فألواحهم الخالدة من ألوانها غميسة . وترنّم بها القيان وأصحاب اللحون ، ورقص في إهابها الراقصات ؛ فواتن لفتات .

فملء شعر هوغو بَلّ نداها ، وفي ليالي موسّيه أنفاسها وشذاها . وانظر إلى الشاعر أندره شينيه ، فقد كان حبيساً ينتظر ضرب العنق على مقصلة روبيسبيير ، فنظم في السجن ديوان (المراثي) شكوى مزامير بأنغام الأساطير .

ولم يُفد منها أدبنا القديم ، كما تقول في مقدمتك ، تعلّةَ الزّمّيتين وقد آن أن يُفيد على يديك وبدى أندادك من رواة هذا القصص الإغريقي البديع .

بعد هذا بقي عليَّ حسابك ، فكيف أجزت لنفسك أن تجعل من أسطورة السطرين صفحتين . والأسطورة يا أديبي نصٌّ تاريخي عتيق ، تفاوت في ادعائه سبع مدن . وأنا أعذرك في التزّيد عند الأوصاف والبدائع ، دون الصفات والوقائع . وهذه منك سابقة إبداع في العربية في أن تجرى على غرار من كتب السيرة بأسلوب الأدب وطريقة الفن ، لا بتحقيق التاريخ ونقد الحوادث . فخرجتَ بالأساطير من خمائل عتيقة إلى أفواف جديدة عربية ، بأسلوب حر الكلام ، مبين المعاني . وإن شئتَ في الختام وصفاً لروعات إنشائك في هذا القصص الجديد ؛ قلت لك إني لأراه أسطورة أحلى من الأساطير .

((القاهرة)) **زكي المحاسني**